مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 24 - 39

رت م د: 2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

المقطع الصوتي ودلالته في الكشف عن مشاعر التوديع في خطبة حجة الوداع

The syllable structure: its role in revealing farewell emotions in the Farewell pilgrimage sermon

بسعودي جمال [1] *، بوبكر الصديق صابري [2]

[1] جامعة محمد البشير الإبراهيمي- برج بوعريريج (الجزائر)، Djamel.bessaoudi@univ-bba .dz

[2] جامعة محمد البشير الإبراهيمي- برج بوعريريج (الجزائر)، boubakeurseddik.sabri@univ-bba.dz

تاريخ الاستلام: 2021-07-24 تاريخ القبول: 2023-03-16 تاريخ النشر: 2023-05-05

ملخص:

تهدف الورقة البحثية إلى الوقوف على الحالة الشعورية للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم حينما وقف في حجته الأخيرة موقف المودع الحريص على أمته من أنْ يرتدوا من بعده عن النهج القويم، باللجوء إلى المقاطع الصوتية المشكلة لألفاظ خطبة حجة الوداع، لاستجلاء الدلالة التي لم تفصح عنها الألفاظ والتراكيب، باعتبار أنّ المقطع الصوتي يُعتمد في إنتاجه على الإيقاع التّنفسي والحالة الشّعورية للمتكلم، حيث تُنتج عضلات الصّدر نبضة منفصلة من الضغط لكلّ مقطع، وتختلف هذه النبضات باختلاف الحالة الشعورية، التي تنعكس على أداء المقاطع المشكّلة للفونيمات فوق المقطعية، تلك الحالة الشعورية التي قد يُتحكّم فيها بتغييبها لفظا، لكّنها قد تغلب صاحبها وتشي بحالته عبر جرسها الحاضر، إذْ سنتحرّى عن تلك المشاعر الخفيّة من خلال تتبّع المقاطع، بإحصاء تكرارها بالخطبة والتمثيل لها بيانيا وإجراء المقارنة، والتحليل لنتبيّن أنواعها، وتموقعها وتميز الغالبة منها، للوقوف ما أحدثته من نشاط موسيقي ومعنى عاطفي عميق يكشف تلك المشاعر الجياشة التي صاحبت مقام التوديع.

كلمات مفتاحية: الصوت، المقطع الصوتي، الخطبة، حجة الوداع.

Abstract:

The research paper aims to identify the emotional state of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, in his Farwell Pilgrimage. It consists in analysing the syllables structureof the Farewell pilgrimage sermon in order to clarify the significance lying behind the words. It is worth mentioning that syllables structuredepend on the respiratory rhythm and the emotional state of the speaker, where the chest muscles produce a separate pulse of pressure for each syllable. The pulses vary according to the emotional state, which is reflected in the performance of the syllables forming the supra-syllabic phonemes. This emotional state may be controlled by dismissing its pronunciation, but it is observable through its tone. This work will investigate these hidden feelings by tracing the passages, counting their repetition in the sermon, representing them graphically and making comparison to discern their types.

Keywords: Sound, Syllable structure, Sermon, Farewell Pilgrimage.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

يمثّلُ الجانب الصّوتي من الكلام جانبا مهمًا من جوانب اللّغة، وأساسًا من أسس التّواصل اللّغوي؛ إذْ عليه ينْبَني فنّ النّطق بالكلام على الصّورة التي توضّح الألفاظ، وتكشف القناع عن المعاني، لتؤثّر في المستمع الذي ينجذب إلى المرسل بكل حواسه السمعية والبصرية والشعورية، فقد يسمع الواحد منّا إلى نغمة صوتية تحمل دلالة الحزن فيحزن، أو يسمع نغمة أخرى تعبّر عن السرور فيُسَرُّ حتى وإنْ كان يجهل اللّغة التي تؤدّى بها، ومردّ الأمر كلّه إلى المقاطع الصوتية، فالاهتمام بقضايا الصّوت والمعنى والبحث عن العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها لا يقلّ أهمية عن الدراسة المعجمية والنحوية والدلالية، باعتبار أنّ قوّة اللّفظ ودلالته تُستمد من قوّة مكوّناته الصّوتية، ويُعتبر المقطع الصّوتي من بين الرّوابط التي تجعل العلاقة لصيقة بين الأصوات ضمن الكلمة أو بين كلمتين متجاورتين، كما أنّه يمثّل الميزان الذي يميّز الكلمة العربية من غيرها، وعليه المعتمد في دراسة الفونيمات فوق التركيبية كالنّبر، والتّنغيم، والوقف والفاصلة، وقد أثبتت البحوث أنّ المقطع الصّوتي يساعد على تعلّم القراءة عند الأطفال الذين يعانون من صعوبات القراءة، وتعرّفهم على المقاطع الصوتية في الكلمات الجديدة غير المألوفة.

ولاشكّ في أنّ خطبة حَجّة الوداع التي ألقاها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في حَجّته الأخيرة لم تُحظ بقدر وافر من الدّراسة الصوتيّة، خاصّة في الجانب المقطعي المكوّن لألفاظها ونصّها الخالد، هذا الجانب الذي يعتمد على الإيقاع التّنفسي والحالة الشّعورية، حيث دفعنا الفضول إلى رفع التساؤل الآتي: هل أبانت المقاطع الصوتية الغالبة في خطبة حجة الوداع على الحالة الشعورية للرسول المصطفى صلى الله عليه وسلّم؟ هذا التساؤل يفرض علينا الوقوف على تعريف المقطع الصوتي وتحديد أنواعه ومن ثمة إحصاء المقاطع التي تضمنتها مفردات الخطبة وتمييز الغالب منها والتمثيل لها بيانيا للوصول إلى الدلالة والمعنى القابع خلفها.

1. أهمية الخطبة في الإسلام:

يُعدّ إلقاء الخُطب والمواعظ والدّروس والمحاضرات مِنْ أعظم وسائل الدّعوة إلى الله سبحانه وتعالى، إذْ إنّ الكلمة الملقاة كانت الوسيلة الأولى والرّئيسة للرّسل صلوات ربّي وسلامه عليهم أجمعين، صَدَحوا بها في أقوامهم بأبلغ عبارة وأجمل أسلوب، وأوضح حرف، وأجمل كلمة،

وأصدق نطق، ولأهميّة الكلمة الملقاة ومكانتها العالية في الإسلام جُعلت من شعائر المناسبات الكبرى: كخطبة الجمعة، ويوم عرفة، والعيدين، والاستسقاء، "وقد خطب صلى الله عليه وسلم خطبة ضافية في بدر قرَّبت الجنة لعشاق السعادة، وبغَّضت البقاء عند محبي الدنيا، وسهلت الموت على طالبيه، والقتل على راغبيه، فتسابق المؤمنون على وقع كلامه صلى الله عليه وسلم وكأنهم في صراع الأعداء يلجون أبواب الجنة الثمانية، وفي نزال الكفار يطوفون بالكوثر، وفي حزّ هامات الوثنيين يتحسّون الكأس الدِّهاق في جنّات عدنٍ. وخطب صلى الله عليه وسلم قبل أحد بيوم فأبى الأبطال البقاء في المدينة، وحثّوا السير إلى أُحد ورنين الخطبة في الآذان كأنها طلائع الجيوش، ورايات الكتائب" (القرني، 2012) هذا وقد استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمة منذ أن أُرسل بالرسالة، فخطب بها وحاور وجادل...إلى آخر أيامه حيث لخص أهم تعاليم الإسلام في خطبة الوداع.

1.1. التعريف بخطبة حجة الوداع:

تعدّ هذه **الخطبة** من أعظم الوثائق التاريخية التي تركها الرسول صلى الله عليه وسلم لإرساء ركائز المجتمع الإسلامي، يستلهمون منها قيمهم الأخلاقية، والاجتماعية، ويستصدرون منها أحكامهم وتشريعاتهم التنظيمية لاشتمالها على جوامع الكلم وأصول الأحكام، وقد ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم في "حجته الوحيدة التي حجها في السنة العاشرة من الهجرة النبوية" (الطبري، ص. 148)، وأما سبب تسمية هذه الحجة بحجة الوداع فلأنه ودّع فيها صلى الله عليه وسلم الناس ولم يحج بعدها، "وتُسمى أيضا حجة الإسلام لأنه لم يحج من المدينة غيرها، وتُسمى أيضا حجة البلاغ لأنه عليه الصلاة والسلام بلغ الناس شرع الله قولا وفعلا ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا بيّنه صلى الله عليه وسلم" (كثير، 1997، ص.99).

وقد **وافق** موقف إلقاء هذه الخطبة العظيمة نزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ سورة المائدة الآية (03).

2.1. نص خطبة حجة الوداع:

قال ابن إسحاق: « ثُم مَضَى رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ عَلَى حجة، فأرى الناس مناسكهم، وأعلَمهم سُنن حَجِّهم، وخَطب النّاس خُطبته التي بيّن فيها ما بيّن، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: (أيّها النّاس اسمعوا قوْلي، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف

أبدًا، أيّها النّاس إنّ دمائَكم وأموالَكم عليكم حرامٌ إلى أنْ تَلْقوا ربّكم، كحُرمة يومِكم هذا، وكحُرمة شهركم هذا، وإنّكم ستَلقون ربّكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلّغت فمنْ كانت عنده أمانة فلْيُؤدّها إلى مَنْ ائتمنه عليها، وإنّ كلُّ ربا موضوعٌ، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تَظلِمون و لا تُظلمون قضى الله أنّه لا ربا، وإنّ ربا عبّاس بن عبد المطلب موضوع كلّه، وإنّ كلّ دمٍ كان في الجاهليّة موضوع وإنّ أوّل دمائكم أضَع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مُسترضَعا في بني ليثٍ، فقتلته هُذيل فهو أوّل ما أبدأ به مِنْ دماء الجاهليّة أمّا بعد أيّها الناس، فإنّ الشّيطان قد يئِس مِنْ أنْ يُعبد بأرضكم هذه أبدًا، ولكنّه إنْ يُطَعْ فيما سِوَى ذلك فقد رضى به ممّا تحقرون مِنْ أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيّها النّاس: إنّ النّسيء زيادة في الكفر، يَضلّ به الذين كفروا، يحلّونه عامًا ويحّرمونه عامًا، ليواطئوا عدّة ما حرّم الله، فيحلّوا ما حرّم الله، ويحرّموا ما أحلّ الله، وإنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق السّموات والأرض وإنّ عدّة الشّهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حُرُمٌ، ثلاثة متوالية. أمّا بعد، أيّها النّاس: فإنّ لكم على نسائكم حقًا، ولهنّ عليكم حقًا، لكم عليهنّ أنْ لا يوطئن فُرشكم أحدا تكرهونه، وعليهنّ أنْ لا يأتين بفاحشة مبيّنة، فإنْ فعلن فإنّ الله قد أذِن لكم أنْ تهجروهنّ في المضاجع وتضربوهنّ ضربًا غير مُبرح، فإنّ انتهين فلهنّ رِزقهنّ وكِسوتهنّ بالمعروف، واستوصوا بالنّساء خيرا، فإنّهنّ عندكم عوان لا يملكنّ لأنفسهنّ شيئًا، وإنّكم إنّما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحلَلْتم فروجهنّ بكلمات الله، فاعقِلوا أيّها النّاس قولي فإنّي قد بلّغت وقد تركت فيكم ما إنْ اعتصمتم به فلنْ تضلّوا أبدًا، أمرا بينا، كتابُ الله وسنّة نبيّه، أيّها النّاس: اسمعوا قولي واعقلوه تعلمنّ أن كلّ مسلم أخ للمسلم، وإنّ المسلمين إخوة، فلا يحلّ لامرئ مِنْ أخيه إلّا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظْلِمُنّ أنفسكم. اللّهم هل بلّغت؟. فذكر لي النّاس قالوا: اللّهم نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: اللّهم اشْهد)» (إسحاق، 2004، ص.670).

2. مفهوم الصوت:

يمثل الصوت بصفة عامة جميع ما يُلتقط عبر حاسة السّمع وآلته الأذن، وهي من أولى النعم التي أنعم الله بها على خلقه، ولعل في تقديم نعمة السمع على البصر في آي الذكر الحكيم لعبرة ومعجزة، يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ سورة الإنسان الآية (02)، والآيات التي قدّمت فيها هذه النعمة كثيرة لا

يسع المقام لذكرها. وقد جاء في أمهات المعاجم العربية تعريف الصوت بأنّه "الجرس، والجمع أصوات: قال ابن السكّيت: الصوت صوت الإنسان وغيره، والصائت: الصائح، ورجل صيّت: أي شديد الصوت"(منظور، 1982، ص.302)، "وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات"(الفراهيدي، ص.146).

أمّا في الاصطلاح فقد ثبت علمياً أنّ الصوت اهتزازات محسوسة في موجات الهواء، تنطلق من جهة الصوت، فتسبح في الفضاء حتى تتلاشى، يستقر الجزء الأكبر منها في السمع بحسب درجة تذبذبها، فتوحي بدلائلها، ولعلّ في تعريف ابن سينا إشارة إلى جزء من هذا التعريف، من خلال ربطه الصوت بالتموّج، واندفاعه بسرعة عند الانطلاق، يقول: "الصوت تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان" (سينا، 1917، ص.3).

3. مفهوم المقطع الصوتي:

1.3. المقطع الصوتي عند القدماء:

كلمة (المقطع) في اللغة من القطع، وهو إبانة بعض الشيء من بعض، "يقال: تقطعه يقطعه قطعاً – وقطعة وأقتطعه فانقطع، وتقطع بتشديد الطاء للكثرة قال تعالى: ﴿تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ سورة البقرة الآية (166)؛ أي انقطعت أسبابهم ووصلهم" (منظور، 1982، ص.145) .

أمّا ابن جني فيقول "اعلم أنّ الصّوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلا متّصلا حتىّ يَعرِضَ له في الحلق والفم والشّفتين مقاطع تُثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفا" (جني، 1985، ص.6)، فابن جنّي لا يقصد بالمقطع ما نقصده نحن الآن من مصطلح المقطع (syllable)، وإنّما يقصد به المكان الذي يعترض الصوت فيه عائق يمنعه من جريانه واستطالته، أي مخرج الصوت.

2.3. المقطع الصوتي عند المحدثين:

أفاد علماء الأصوات بأنّ السلسلة الكلامية عبارة عن تتابع مجموعة من الأصوات "على شكل مجموعات متتالية يمكن تمييز أصوات كل مجموعة عن الأخرى، ولا تتطابق هذه المجموعات الصوتية غالباً مع الكلمات التي تؤلف تلك السلسلة، فقد تتألف الكلمة من مجموعة واحدة أو أكثر،

وقد تتداخل تلك المجموعات بين كلمتين في الكلام المتصل، وأطلقوا على كل مجموعة فيها اسم المقطع" (الحمد، 2004، ص.19)، وجاءت نتائج الدراسة التجريبية للعملية الكلامية مؤكدة لذلك، فقد أثبتت "أنّ الصّدر لا يواصل ضغطاً ثابتاً خلال المجموعة التنفسيّة، وأنّ عضلات الصّدر تُنتج نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع" (عمر أ.، 1997، ص.280)، وفي تعريف آخر هو : "وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت، وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت، أو حيث تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد" (النعيمي، 1998، ص.8)، ويعرفه إبراهيم أنيس بأنه: "عبارة عن حركة قصيرة أو طويلة مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة" (أنيس، 1953، ص.146).

3.3. كيفية إنتاج المقطع:

يُعتمد في إنتاج المقطع على الإيقاع التنفسي "فكل ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يمكن أن ينتج إيقاعا يعبر عن مقطع مؤلف في أقل الأحوال من صامت وحركة (ص+ ح) " (الراجحي، 1991، ص.242)، فالمقطع ينشأ نتيجة لحركة الرئتين واندفاع الهواء منها دفعة واحدة، حيث تسمح بخروج قدر من الأصوات يحس بها الناطق والسامع على السواء، وإنتاجه -المقطع- لا يعتمد فقط على ضغط الحجاب الحاجز وهواء الرئتين، بل يعتمد على جهاز النطق بأكمله لإنتاج الوحدات الصوتية التي ينضم بعضها إلى بعض لتؤلف الكلمات ثم الجمل : " وهذا قائم على أساس النطق المقسم للكلمة إلى إيقاعات صوتية معينة تجعل للكلمة أو الكلام أجزاء يُعرف كل منهما بالمقطع "(هلال، 1996، ص.28).

4. علاقة المقطع بنبر الكلمات:

ترجع أهمية المقطع في الدراسات الصوتية إلى معرفة مواقع النبر في الكلمات العربية، حيث "يشارك في الدلالة إلى جانب معرفة طبقة الصوت التي ترتبط بالمقطع من ناحية الصعود والهبوط" (عكاشة، 2011، ص.42).

ويختلف النّبر في الدّراسات الصوتيّة الحديثة عنه في المعاجم القديمة، لكن هناك علاقة تربط بين الاثنين وهي علوّ الصّوت وارتفاعه لكن هذا العلو لا يكون في الكلمة على إطلاقه، وإنّما يكون في مقطع من المقاطع، فالعلاقة بين المقطع والنبر هي علاقة تلازمية؛ حيث عرّفه محمد علي الخولي بأنّه: "قوّة التلفّظ النسبيّة التي تعطى للصائت في كلّ مقطع من مقاطع الكلمة أو الجملة، وتؤثّر درجة

النّبر في طول الصائت وعلوّ الصّوت، والنّبرة أحيانا فونيم (فوقطعي) ذو أربع درجات من النبر... فإذا كان المقطع منبورا فإنه يتطلب طاقة زائدة من المتكلم تجعل نواة المقطع أكثر بروزا من سواها من الأصوات من حولها" (الخولي، 1998، ص.169)، أمّا إبراهيم أنيس فقد عرّف النّبر بأنّه "نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد" (أنيس، 1975، ص.139)، أمّا محمود السعران فيعرفه بأنّه: "هو درجة قوّة النّفس التي يُنطق بها صوت أو مقطع، وليس كلّ صوت أو مقطع ينطق بنفس الدّرجة. والصّوت أو المقطع الذي يُنطق بارتكاز أكبر يتضمّن طاقة أكبر" (السعران، 1997، ص.158)، وبذلك فإنّ المقطع تتابع كمّي من الأصوات الصّامتة، والحركات يبدأ بصامت يتبعه حركة، وتنتهي قبل أوّل صامت يرد متبوعاً بحركة، معتمدا على الإيقاع التنفّسي، مؤدياً إلى إنتاج ملامح تمييزيّة في الدّلالة؛ ذلك أنّنا لا ننطق أصواتاً أو مقاطع دون وظائف، لذلك كان الإدراك السمعي للأصوات وبخاصة الحركات مُهماً في تحديد الإطار الوظيفي.

5. أنواع المقاطع في اللغة العربية:

لكلّ لغة نظامها الخاص في تشكيل المقاطع، وتختلف عن غيرها في أنواع المقاطع التي تستخدمها واللّغة العربيّة لها عدّة أنواع من المقاطع تختلف من حيث الطّول والقِصر، ومنها ما هو شائع الاستخدام وقليله "وقد أشار النّحاة من القدماء إلى ميل اللّغة العربية إلى المقاطع الساكنة، حين قرّروا استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة ... ولكنّهم أباحوا توالي أربعة مقاطع ساكنة فيما هو كالكلمة إذ نقول (استفهمتم)" (أنيس، 1975، ص.92)، وفيما يلي أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية:

1.5. المقطع القصير:

ويتكون من (صامت+ حركة قصيرة)، ويرمز له بالرمز (ص ح)، أي صامت+ حركة ومثال ذلك: (كَتَبَ)، التي تتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة (ص ح+ ص ح+ ص ح)، وعن تسميته قال إبراهيم أنيس " نرى أنْ يتفّق العلماء على اسم موحّد لهذا حتّى لا يقع الدّارسون في لغط وخطأ كبير، فارتضينا أنْ نسمّيه المقطع القصير كمن سبقنا من العلماء" (أنيس، 1975، ص.164)

2.5. المقطع المتوسط المفتوح:

ويتألّف هذا المقطع من صامت متلو بحركة طويلة أو صائت طويل؛ أي (صامت + صائت طويل) ويرمز له بالرمز (ص ح ح) ومن أمثلة ذلك: لا، ما، والمقطع الأول من كاتب .

3.5. المقطع المتوسط المفتوح:

ويتألّف هذا المقطع من صامتين تتوسطهما حركة قصيرة، أي (صامت + حركة قصيرة+ صامت)، ويرمز له بالرمز (ص ح ص)، ومن أمثلة هذا المقطع أداتي الاستفهام (مَنْ، هَلْ) أو أداة النفي والجزم (لَمْ) والمقطعان المكونان للبنية كنتم (كُنْ/ تُمْ)، حيث أوضح المختصون أنّ الأنواع الثّلاثة الأولى هي التي "يتكوّن منها نسج الكلمة العربية في الكلام المتّصل، وقد تقعُ تلك الأنواع الثّلاثة في أوّل الكلمة أو وسطها أو آخرها فليس منها ما يختص بموضع ما من الكلمة" (أنيس، 1975، ص.94).

4.5. المقطع الطويل المغلق:

ويتألّف هذا المقطع من صامتين يحصران بينهما صائتا طويلا، أي (صامت + صائت طويل+ صامت)، ويرمز له بالرمز (ص ح ح ص)، ومن أمثلته (مَالْ) في حالة النطق بها ساكنة، وكذلك "عِينْ" في المقطع الأخير من نستعين عند الوقف.

5.5. المقطع الطويل المزدوج الإغلاق:

ويتألّف هذا المقطع من صامت تليه حركة قصيرة متبوعة بصامتين، أي (صامت+ حركة قصيرة+ صامت+ صامت)، ويرمز له بالرمز(ص ح ص ص)، ومن أمثلته (أرضْ)، "شعبْ"، وأشار المختصون أنّ "النوع الرابع والخامس من المقاطع في اللغة العربية محدود لا نراه إلا متطرفا، وفي بعض حالات الوقف" (أنيس، 1975، ص.94).

6. مواضع النّبر في العربية:

فَصَل إبراهيم أنيس القول في قواعد النبر في كلمات العربية وقدّم لها أمثلة عديدة ويمكن تلخيص هذه القواعد فيما يأتي: (أنيس، 1975، ص.101).

- لمعرفة مواضع النّبر في الكلمة العربيّة يُنظر أولا إلى المقطع الأخير فإنْ كان من النّوع الرّابع أو الخامس أو السّادس كما في (نستعين، ومستقر) كان هو موضع النبر، وإلّا نُظر إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإن كان من النوع الثاني أو الثالث أو الرابع، حكمنا بأنه موضع النّبر كما في: أخوك، وكتبْتُم.

- أمّا إذا كان المقطع الذي قبل الأخير من النوع الأول نُظر إلى ما قبله .فإنْ كان مثله أي من النّوع الأوّل أيضاَ، كان النّبر على المقطع الثّالث حين نَعُدُّ مِن آخر الكلمة، كما في : كَتب، ويَنكَسر، وحاسَبك، وضَالّته..

- أمّا إذا لم يكن الثّالث من آخر الكلمة من النوع الأوّل كما في: قاتل، ويكتب، وجادّة، فإنّ النّبر يقعُ على المقطع قبل الأخير.

- ولا يكون النّبر على المقطع الرّابع حين نَعُدُّ منَ الآخر إلّا في حالة واحدة، وهي أنْ تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النّوع الأوّل كما في: حركةٌ، ويَحْتَرِمُكَ.

7. إحصاء المقاطع الصوتية للخطبة:

من خلال القيام بعملية إحصائية لمجموع المقاطع التي شكّلت خطبة حجة الوداع أحصينا ما عدده: (884) مقطعا صوتيا، وسنمثل لتوزيعها حسب أنواعها، مع حساب نسبة تردّدها، لنتمكن من إجراء التحليل:

جدول 1

إحصاء المقاطع الصوتية لخطبة حجّة الوداع

نوع المقاطع	عددها	نسبة ترددها %
المقطع القصير المفتوح (ص ح)	407	46.04
المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح)	142	16.06
المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)	319	36.08
المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص)	13	1.47
المقطع الطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص)	03	0.33

المصدر: الجدول من إعداد الباحث

من خلال إحصاء تكرار المقاطع بالخطبة، واستخراج النّسبة المئوية لتردّدها ، تمّ التّوصل إلى مجموعة من الملاحظات والنتائج نوضحها فيما يأتي:

- المقطع القصير (ص ح): أكثر انتشارا في الخطبة مقارنة بغيره حيث تواجد بنسبة: (46.04 %). لأنه مكون من صوتين أخفّ نطقا من غيره، وقد جاء هذا النّوع في مواضع متفرقة من الكلمات المشكلة للخطبة، في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، لذلك أطلق عليه المقطع الحر نسبة لحرية تواجده في عدة مواضع من الكلمة.

- المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص): جاء في المرتبة الثانية من الناحية الإحصائية، بنسبة (36.08%) وهو بدوره مقطع حر يأتي في مواضع مختلفة من الكلمة.

- المقطع التوسط المفتوح (ص ح ح): جاء هذا النّوع في المرتبة الثالثة من الناحية الإحصائية، بنسبة (16.06%)، وهو مقطع حر قد يأتي في مواضع ثلاث من الكلمة.

- المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص): جاء هذا النوع في المرتبة الرابعة بنسبة (1.47%)، وهو مقطع مقيد يلزم وضعية واحدة في آخر الكلمة.

- المقطع الطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص): جاء هذا النوع من المقاطع في المرتبة الخامسة وكانت نسبة تواجده بالخطبة تقدر بـ (0.33 %)، وهو مقطع مقيد لا يأتي إلى في أواخر الكلمات.

وقد وافقت نتائج العملية الإحصائية نظرية إبراهيم أنيس إذ يقول:" والنوع الرابع والخامس من المقاطع في اللّغة العربية محدود لا نراه إلا متطرفا، وفي بعض حالات الوقف، أما الأنواع الثلاثة الأولى فهي التي يتكون منها نسج الكلمة العربية في الكلام المتصل، وقد تقع تلك الأنواع الثلاثة في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها. فليس منها ما يختص بموضع ما من الكلمة" (أنيس، 1975، ص.95)، والسؤال الذي فرض نفسه في أثناء تقطيع مفردات الخطبة: كم كان عدد المقاطع المستعملة في كل مفردة من مفردات الخطبة كحد أدنى وأقصى؟ حيث قمنا بإحصاء المفردات التي تضمنت مقطع واحد مثل: لا، والمفردات التي تضمنت مقطعين مثل: فلا، وثلاثية المقاطع مثل: يَحِلُّ، والرباعية مثل: أنفسكُم، والخماسية مثل: المضَاجِعِ، والسداسية مثل: أخذتموهنَّ، وبعد

العملية الإحصائيّة تبيّن تنوّع المفردات وتباينها من حيث أنوع المقاطع، سواء كانت اسما أم فعلا، مجردة أم مزيدة على النحو الآتي:

جدول 2

إحصاء مفردات الخطبة حسب نوع المقاطع

نوع المقطع	عدد المفردات
أحادية المقطع	38
ثنائية المقطع	92
ثلاثية المقطع	106
رباعية المقطع	46
خماسية المقطع	22
سداسية المقطع	4

المصدر: إعداد الباحث

من خلال الجدول وقفنا على مجموعة من النتائج التي نوردها فيما يأتي:

- المفردات أحادية المقطع: كان عددها في الخطبة (38) مفردة، موزّعة على مقطع متوسط مفتوح ومغلق (ص ح ح ، و ص ح ص)؛ حيث كان عدد أحادية المقطع المفتوحة (21) مفردة مثل: ما، لا، في. أمّا أحادية المقطع المغلقة فكان عددها (17) مفردة مثل: هلْ، قدْ، مَنْ، عنْ، إنْ.

- المفردات ثنائية المقطع: كان عددها بالخطبة (92) مفردة، منتهية إما بمقطع مفتوح أو مغلق؛ فكان عدد النوع الأول: (53) مفردة، مثل: قولي، منه، فلا، طيب، على، أما...الخ، أمّا عدد النوع الثاني فكان (39)مفردة مثل:اشهد، لكم، أمرا، الناس، فيكم، فلن...الخ.

- المفردات ثلاثية المقطع: وقد كان عددها في الخطبة (106) مفردة، منتهية إمّا بمقطع مفتوح أو مغلق؛ فأمّا عدد المنتهية بمقطع مفتوح فكان:(80) مفردة، مثل: أعطاه، يحلُّ، اسمعوا، الله، كتابُ، أمّا المنتهية بمقطع مغلق فكان عددها: (20) مفردة، مثل: لامرئ، إخوة، للمسلم، واعقلوه، بيّنًا.

- المفردات رباعية المقطع: كان عددها في الخطبة (46) مفردة، منتهية إمّا بمقطع مفتوح أو مغلق؛ حيث كان عدد المنتهية بمقطع مفتوح: (32) مفردة، مثل: اللّهمَّ، تظلمنَّ، تعلمنَّ، أمّا المنتهية بمقطع مغلق فعددها: (16) مفردة، مثل: أنفسكم، اعتصمتم، نسائكم..الخ.

- المفردات خماسية المقطع: وقد كان عددها في الخطبة (22)مفردة، منتهية إمّا بمقطع مفتوح أو مغلق؛ فتلك المنتهية بمقطع مفتوح عددها (19) مفردة، مثل: المضاجع، السموات، المسلمين، ائتمنه...الخ، أمّا تلك المنتهية بمقطع مغلق فكان عددها ثلاث كلمات وهي: مبينة، بفاحشة، فيسألكم.

- المفردات سداسية المقطع: وقد كان عددها في الخطبة (04) مفردات جميعها منتهية بمقطع مفتوح مثل: الجاهلية، لأنفسهن، أخذتموهن.

8. نتائج الدراسة:

من خلال عمليات الإحصاء والتمثيل والتحليل للمقاطع الصوتية بخطبة حجة الوداع التي ألقاها النبي صلّى الله عليه وسلم في حجته الأخيرة على جمع غفير من صحابته وقفنا على مجموعة من النتائج:

- مفردات الخطبة جاءت مكونة من مقطع واحد كحد أدنى وذات ستة مقاطع كحد أقصى.

- كانت المفردات ثلاثية المقطع أوفر حظا في الخطبة مقارنة بغيرها، تليها ثنائية المقطع ثم الرباعية، في حين نجد قلة استعمال خماسية المقطع، والسداسية، وانعدام استعمال الكلمات السباعية والثمانية المقطع؛ وهي نادرة في اللغة العربية (سباعية المقطع مثل كلمة فسيكفيكهم التي وردت في القرآن الكريم، أمّا ثمانية المقطع مثل كلمة أفنلزمكموها، وذلك نتيجة اتصالهما باللواصق)، وهذا ما يوافق قول إبراهيم أنيس بأنّ:"الكلمة المشتقة في اللغة العربية اسما كانت أو فعلا حين تكون مجردة من اللواحق والسوابق– كالضمائر وال التعريف- لا تكاد تزيد على أربعة مقاطع ويندر أن نجدها تتكون من خمسة مقاطع" (أنيس، 1975، ص.166)، فقلة مقاطع مفردات الخطبه مردّه إلى فصاحته صلى الله عليه سلم الذي وصف الجاحظ كلامه بأنّه:" الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصُّنعة ونُزِّه عن التكلّف، استعمل

المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر...وجمع بين المهابة والحلاوة وحسن الإفهام، وقلة عدد الكلام" (الجاحظ، 1998، ص.13)، وكإجابة عن السؤال المطروح – ما عدد مقاطع مفردات الخطبة كحد أدنى وأقصى؟-، فقد كان أقصى حد للمقاطع المستعملة في المفردة الواحدة هو ستة مقاطع في أربع كلمات، وخماسية المقطع في إثنين وعشرين (22) كلمة وباقيها رباعية، وثلاثية وثنائية وأحادية المقطع، وهذا ما يخدم مقامه وغرضه صلى الله عليه وسلم في التبليغ والإفهام والبيان بكلمات مقاطعها موجزة.

- والجدير بالملاحظة أنّ المفردات المنتهية بمقطع متوسط مفتوح (ص ح ح)كان أغلبها بأوّل الخطبة وهو ما يناسب الجهر والنداء وإيصال الصوت وطلب الإقبال واستمالة القلوب، حيث يشكل المقطع المفتوح غالبا الصوائت الطويلة (ألف المد، واو المد، وياء المد) والتي تكررت (128) مرة في الخطبة، مُحدثة لفتا للانتباه ونشاطا إيقاعيا في كل أجزاء الخطبة. ناسبت أغراض النداء والحزن والشجن والأسى والخوف على هذه الأمة من الارتداد من بعده صلى الله عليه وسلم كفارا.

فكل الأغراض العاطفية لا يُمكن أنْ تُؤدَّى كما ينبغي إلا من خلال استخدام الصوائت ذات النفس الأطول التي تتفرد عن غيرها من الأصوات بسعة المخرج وخفة الأداء وعذوبة الجرس الدال على الانفعال النفسي الذي له تأثير بالغ على المتلقي، ونلمح ذلك منذ مطلع الخطبة في قوله صلى الله عليه وسلم «أيّها النّاس اسْمَعُوا قوْلِي، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألْقَاكُم بعدَ عَامِي هَذَا بهذا الموقف أبدَا»؛ حيث أحصينا أنّ المقطع المتوسط المفتوح الذي مثّلته الصوائت الطويلة (حروف المد) طغى على نهاية كل كلمات هذه الجملة الاستئنافية، وكان حضوره بنسبة (80%) (ست عشرة كلمة تضمنت خمسة عشر صائتا طويلا)، فأحدثت تشكيلا صوتيا متآلفا محملا بنشاط إيقاعي يطرق أبواب القلوب قبل الأذان، منبئا بدلالات محزنة، ومؤلمة توحي بقرب موعد فراق الخطيب الحبيب لأمته، فطول الصّوت بهذه المقاطع من حيث المدة الزّمنية يخدم الاستهلال للفت الانتباه والمقاطع المتوسطة المفتوحة أوضحها سمعا وأبعدها مدى من تلك المغلقة، وهو ما خدم المقام الذي يقف فيه الرّسول عليه الصلاة والسلام، مناديا وداعيا في جمع غفير في عامه الأخير، يبتغي من ورائه إيصال صوته إلى القاصي والداني.

فكان حضور الصوائت الطويلة في هذه الجملة كما يلي:

- حضور الفتحة الطويلة في الجملة بنسبة (56.25%).
- الكسرة الطويلة بنسبة (31.25%).
- الضمة الطويلة (6.25%).

من خلال هذا التفصيل نلاحظ بروز الفتحة الطويلة مقارنة بغيرها في الجملة الاستهلالية التي استهل بها صلى الله عليه وسلم الخطبة، وهذا الصائت الطويل المجهور، الناتج عن فتح الفم وخروج الصوت دون عائق يعترضه يوافق ويخدم غرض النداء وإيصال الصدى إلى أبعد المسافات.

تليه الكسرة الطويلة التي كان حضورها ملحوظا كذلك، فقد وافقت حالته ومشاعره صلى الله عليه وسلم، المحملة بالحزن والأسى في موقف التوديع والفراق والخوف على أمته فأدت الصوائت الطويلة وحدها ما عليها من دلالات الحزن الذي اختصت به هذه الأصوات، وناسب حضورها بهذا الشكل الموقف والمقام الذي وقف به صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام، والمكان المقدس والعام الأخير، يلقي آخر نظراته على أكبر تجمع للمسلمين، ليبلغهم آخر الكلمات، ليتأكد من أداء الأمانة وتبليغ الرسالة.

ومنها كذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الخطبة : «أيها الناس إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا»، فالصوائت الطويلة هنا في الكلمات (أيها، الناس، دمائكم، أموالكم، حرام، إلى، تلقوا، هذا، هذا) ذات دلالة بذاتها تخلق نشاطا موسيقيا يهدف إلى تكوين المعنى العاطفي العميق المحمل بأصدق المشاعر الجياشة.

وقد جاءت أغلب المفردات المنتهية بمقطع مغلق في آخر الخطبة وهو ما ناسب الحدة والتأكيد والثبات، حيث يكون هذا النوع من المقاطع في حال الوقف والتنوين (لنْ،أمراً، بيّنًا، مسلمٌ، أخٌ، إخوةٌ، لامرئ، عنْ، نفسُ، اشهدْ، أنفسكمْ، بلّغتْ)، إذْ يحمل التنوين إحدى الصفات المحسنة وهي الغنة باعتبارها: "صوت مستقر في جوهر النون ومثلها التنوين والميم يخرج من الخيشوم عند النطق بهما" (الحصري، 1999، ص.110)، لتعكس لنا صفة الغنة البكائية تلك العاطفة الجياشة المحملة بأصدق المشاعر في موقف الوداع والفراق، أخفتها صفة الذلاقة بسرعة انطلاقها ومرونتها وسهولة النطق بها دونما تعثر.

خاتمة:

لقد استعان رسول الله صلى اله عليه وسلم بالكلمة منذ أنْ أُرسل بالرّسالة، فخطب بها وحاور، وجادل... إلى آخر أيامه حيث لخص أهم تعاليم الإسلام في خطبة الوداع وقد تسابق المؤمنون على وقع كلامه صلى الله عليه وسلم إلى الخضوع والقبول والحفظ والعمل يلجون معه أبواب الجنة الثمانية، فالمتأمل في الخطبة يجد حروف ألفاظها معتدلة غير كثيرة الحروف، متباعدة المخارج، فكانت سهلة في النطق واضحة في السمع، لا يعتريها لُبسّ ولا غموض فهو الذي وصفه المولى عزّ وجلّ بقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ سورة النجم الآية (3 -4)، فقد أعطى صلى الله عليه وسلم للفظ مخرجا سهلا ومعنى متعشقا حتى صار في قلوب المستمعين أحلى وأملى، فدلّ الصوت بجرسه وإيقاعه على المعنى الذي يوحي به، وكشف الإيقاع التنفسي الذي مثلته المقاطع الصوتية عن الحالة الشعورية للحبيب المصطفى، وعبّرت عن انفعاله النفسي من خلال تنوع المقاطع الصوتية فأحدثت تشكيلا صوتيا متآلفا محملا بنشاط إيقاعي، استهلالا بالمقاطع المتوسطة المفتوحة (الفتحة الطويلة) التي خدمت مقام النداء المحمل بمشاعر الحزن والأسى الذي دلت عليه (الكسرة الطويلة) حين وقف صلى الله عليه وسلم مناديا وداعيا في عامه الأخير في موقف التوديع والفراق.

لتختتم الخطبة بمقاطع صوتية مغلقة جسدها الوقف والتنوين مع صوت الميم والنون الذي يحمل صفة الغنة وما تحمله من مشاعر جياشة في مثل هذا الموقف.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس. (1975). *الأصوات اللغوية* (الإصدار 5). القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية.
2. إبراهيم أنيس. (1953). *موسيقى الشعر* (الإصدار 2). مصر: مكتبة الأنجلومصرية.
3. ابن إسحاق. (2004). *السيرة النبوية* (الإصدار 1، المجلد 2). (أحمد فريد المزيدي، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.
4. ابن جني. (1985). *سر صناعة الإعراب* (الإصدار 1، المجلد 1). (حسن هنداوي، المترجمون) دمشق: دار القلم.
5. ابن سنان الخفاجي. (1976). *سر الفصاحة* (الإصدار 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
6. ابن سينا. (1917). *أسباب حدوث الحروف*. (محب الدين الخطيب، المترجمون) القاهرة: مطبعة المؤيد.
7. ابن كثير. (1997). *البداية والنهاية* (المجلد 5). (عبد الله عبد المحسن التركي، المترجمون) مصر: دار هجر.
8. ابن منظور. (1982). *لسان العرب* (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت: دار صادر.
9. أحمد مختار عمر. (1997). *دراسة الصوت اللغوي* (الإصدار 1). القاهرة: عالم الكتب.
10. أحمد مختار عمر. (1997). *دراسة الصوت اللغوي* (الإصدار 1). القاهرة: عالم الكتب.
11. الجاحظ. (1998). *البيان والتبيين* (الإصدار 7). (عبد السلام هارون، المترجمون) القاهرة: مكتبة الخانجي.
12. الرازي. (1995). *مختار الصحاح* (المجلد 1). (محمود خاطر، المترجمون) بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

13. الراغب الأصفهاني. (1961). *المفردات في غريب القرآن*. (محمد سيد كيلاني، المترجمون) بيروت: دار المعرفة.
14. الطبري. *تاريخ الأمم والملوك* (المجلد 3). دار الكتب العلمية: بيروت.
15. الفراهيدي. *كتاب العين* (المجلد 7). (عبد الحميد هنداوي، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.
16. حسام النعيمي. (1998). *أبحاث في أصوات العربية* (الإصدار 1). بغداد: دار الشؤون الثقافية.
17. عائض القرني. (2012). صواعق الكلام. *الشروق اليومي* (260)، 10.
18. عبد الغفار حامد هلال. (1996). *أصوات اللغة العربية عالمة وقوانينه* (الإصدار 1). القاهرة : مكتبة وهبة للطباعة والنشر.
19. عبده الراجحي. (1991). *مبادئ علم اللسانيات الحديث*. الإسكندرية: دائرة المعرفة.
20. غانم قدوري الحمد. (2004). *المدخل إلى الأصوات العربية* (الإصدار 1). عمان: دار عمار.
21. محمد خليل الحصري. (1999). *أحكام قراءة القرآن* (الإصدار 4). بيروت: دار البشائر الإسلامية.
22. محمد علي الخولي. (1998). *معجم علم الأصوات*. الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع.
23. محمود السعران. (1997). *علم اللغة مقدمة للقارئ العربي* (الإصدار 2). القاهرة: دار الفكر العربي.
24. محمود عكاشة. (2011). *التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة*. القاهرة : دار النشر للجامعات.